شذرات من حياة الإمام

محمد بن علي عليه السلام

الباقر

إعداد

قسم الشؤون الدينية - شعبة التبليغ

شذرات
من حياة الإمام الباقر عليه السلام

إعداد

قسم الشؤون الدينية

شعبة التبليغ

أسم الكتاب: شذرات من حياة الإمام الباقر عليه السلام
إعداد: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية
الناشر: العتبة العلوية المقدسة
المراجعة: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية
الطبعة: الثانية
سنة الطبع: ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م
قياس: ١٠ × ١٥
عدد الصفحات: ٨٠
عدد النسخ: ٥٠٠٠
الموقع الإلكتروني: www.imamali.net
البريد الإلكتروني: tableegh@imamali.net
موبايل: ٠٧٧٠٠٥٥٤١٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

في الأمالي للشيخ الصدوق، عن أبان بن عثمان، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: **(إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذات يوم لجابر بن عبد الله الأنصاري: (يا جابر إنك ستبقى حتى تلقى ولدي محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف في التوراة بالباقر فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، فدخل جابر إلى علي بن الحسين عليهما السلام فوجد محمد بن علي عليهما السلام عنده غلاماً فقال له: يا غلام أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال جابر: شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله ورب الكعبة، ثم أقبل على علي بن الحسين عليهما السلام فقال له: من هذا؟ قال: هذا ابني وصاحب الأمر بعدي: محمد الباقر، فقام جابر فوقع على قدميه يقبلهما ويقول: نفسي لنفسك الفداء يا ابن رسول الله، إقبَل سلام أبيك، إن رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ عليك السلام، قال: فدمعت عينا**

أبي جعفر عليه السلام ثم قال: يا جابر على أبي رسول الله السلام ما دامت السماوات والأرض وعليك يا جابر بما بلغت السلام)[1].

مولده الأغرّ عليه السلام:

وُلد يوم الجمعة وقيل: السبت أو الاثنين أو الثلاثاء غرّة رجب، أيّ أوّل يوم منه سنة سبع وخمسين من هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله، وهو الأشهر، وقيل: سنة ستٍّ وخمسين، أو ثمانٍ وخمسين.

وكان مولده المبارك في دار أبيه الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، في مدينة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

أُمه:

هي ابنة عمّ أبيه، فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبى عليه السلام. فيكون الإمام الباقر عليه السلام هاشميّاً من هاشميَّين، وعلويّاً من علويَّين، وفاطمياً من فاطميَّين، وأوّلَ هاشمي اجتمعت له ولادة طيّبة من الإمامين

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٣٥٣.

الهمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

تُكنّى أُمَّ عبدالله، وقد رُويت لها كرامات، وذكرها الإمام جعفر الصادق عليه السلام فقال: (**كانت صدّيقة، لم تُدرَك في آل الحسن عليه السلام امرأة مِثلُها**) [1].

اسمه وكنيته وألقابه عليه السلام:

اسمه محمد، وكنيته أبو جعفر، وله ثلاثة ألقاب: باقر العلم، والشاكر، والهادي، وأشهرها الباقر، وسمي بذلك لتبقره في العلم، وهو توسعه فيه[2]، فعن عمرو بن شمر قال: سألت جابر الجعفي فقلت له: (ولم سُمِّي الباقر باقراً؟ قال: لأنه بقر العلم بقراً أي شقه شقاً وأظهره إظهاراً)[3].

وصفه عليه السلام:

في الفصول المهمة: (كان عليه السلام أسمراً معتدلاً)[4].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٤٦٩.

(٢) كشف الغمة للإربلي: ج٢، ص٣٢٢.

(٣) علل الشرايع للشيخ الصدوق: ج١، ص٢٣٣.

(٤) الفصول المهمة للحر العاملي: ص١٩٧.

نقش خاتمه عليه السلام:

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (**كان نقش خاتم أبي: العزة لله**)[1].

وقيل: (العزة لله جميعاً)[2].

مقامه الإلهي عليه السلام:

الإمام الخامس من أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

مدة إمامته عليه السلام:

تسعة عشر عاماً، بعد أن عاش مع جدّه الإمام الحسين عليه السلام أربع سنين، وشهد واقعة كربلاء، وعاش في ظلّ أبيه السجّاد عليه السلام ثمانيةً وثلاثين عاماً.

النصوص على إمامته عليه السلام والوصية إليه:

عن عثمان بن عثمان بن خالد، عن أبيه قال: مرض علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في مرضه الذي توفي فيه، فجمع أولاده محمداً والحسن وعبد الله وعمر وزيداً والحسين، وأوصى إلى ابنه محمد بن علي، وكنّاه الباقر، وجعل أمرهم إليه، وكان فيما وعظه في وصيته أن

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج٦، ص٤٧٣.

(٢) التهذيب للشيخ الطوسي: ج١، ص٣٢.

قال: (**يا بني إن العقل رائد الروح والعلم رائد العقل، والعقل ترجمان العلم، واعلم أن العلم أبقى، واللسان أكثر هذرا، واعلم يا بني أن صلاح الدنيا بحذافيرها في كلمتين إصلاح شأن المعايش ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل، لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد عرفه ففطن له، واعلم أن الساعات تُذهب عمرك، وأنك لا تنال نعمة إلا بفراق أخرى، فإياك والأمل الطويل، فكم من مؤمل أملا لا يبلغه وجامع مال لا يأكله ومانع مأسوف يتركه، ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه، أصابه حراماً وورثه، احتمل إصره، وباء بوزره، ذلك هو الخسران المبين**)[1].

وعن مالك ابن أعين الجهني قال: (أوصى علي بن الحسين عليهما السلام ابنه محمد ابن علي عليهما السلام فقال: (**بني إني جعلتك خليفتي من بعدي لا يدعي فيما بيني وبينك أحد إلا قلّده الله يوم القيامة طوقا من نار، فاحمد الله على ذلك واشكره، يا بني اشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك، فإنه لا تزول نعمة إذا شكرت، ولا بقاء لها إذا**

(١) كفاية الأثر للخزاز القمي الرازي: ص٣١٩.

كفرت والشاكر بشكره أسعد منه بالنعمة التي وجب عليه بها الشكر)، وتلا علي بن الحسين عليهما السلام: ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾[1].

عن الزهري قال: (دخلت على علي بن الحسين عليهما السلام في المرض الذي توفي فيه، إذ قدم إليه طبق فيه خبز وهندباء، فقال لي: **(كله)**، قلت: قد أكلت يا ابن رسول الله، قال: **(إنه الهندباء)**، قلت: وما فضل الهندباء؟ قال: **(ما من ورقة من الهندباء إلا وعليها قطرة من ماء الجنة، فيه شفاء من كل داء)**، قال: ثم رفع الطعام وأتي بالدهن فقال: **(إدَّهِنْ يا أبا عبد الله)**، قلت: قد ادهنت، قال: **(إنه البنفسج)**، قلت، وما فضل البنفسج على سائر الأدهان؟ قال: **(كفضل الإسلام على سائر الأديان)**، ثم دخل عليه محمد ابنه فحدثه طويلاً بالسر فسمعته يقول فيما يقول: **(عليك بحُسْن الخُلُق، قلت: يا ابن رسول الله إن كان من أمر الله ما لا بد لنا منه)**، - ووقع في نفسي أنه قد نعى نفسه - فإلى مَنْ يُخْتَلف بَعدَك؟ قال: **(يا أبا عبد الله إلى**

(١) كفاية الأثر للخزاز القمي الرازي: ص٣١٩.

ابني هذا - وأشار إلى محمد ابنه - **إنه وصيي ووارثي وعيبة علمي، معدن العلم، وباقر العلم)**، قلت: يا ابن رسول الله ما معنى باقر العلم؟

قال: **(سوف يختلف إليه خُلاّص شيعتي، ويبقر العلم عليهم بقراً)**، قال: ثم أرسل محمداً ابنه في حاجة له إلى السوق، فلما جاء محمد قلت: يا ابن رسول الله هلّا أوصيت إلى أكبر أولادك؟

قال: **(يا أبا عبد الله ليست الإمامة بالصغر والكبر، هكذا عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وهكذا وجدناه مكتوباً في اللوح والصحيفة)**، قلت: يا ابن رسول الله فكم عهد إليكم نبيكم أن يكون الأوصياء من بعده؟

قال: **(وجدنا في الصحيفة واللوح إثنا عشر أسامي مكتوبة بإمامتهم وأسامي آبائهم وأمهاتهم)**، ثم قال: **(يخرج من صلب محمد ابني سبعة من الأوصياء فيهم المهدي صلوات الله عليهم)**[1].

(١) كفاية الأثر للخزاز القمي الرازي: ص٣١٩.

أخلاقه عليه السلام:

لقد توفرت في شخصية الإمام أبي جعفر عليه السلام جميع الصفات الكريمة التي أهّلته لزعامة هذه الأمة، حيث تميّز هذا الإمام العظيم بمواهبه الروحية والعقلية العظيمة، وفضائله النفسية والأخلاقية السامية، ممّا جعل صورته صورة متميّزة بين العظماء والمصلحين، كما تميّز بحسبه الوضّاح، بكل ما يمكن أن يسمو به هذا الإنسان.

كان الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام جامعاً للكمالات الإنسانية في سيرته وسلوكه، فكان أهلاً للإمامة الكبرى بعد أبيه زين العابدين عليه السلام، وما دوّنته كتب التاريخ من فضائله الجمّة هي غيض من فيض، ونشير إلى شيء يسير منها فيما يلي:

حلمه عليه السلام:

كان الحلم من أبرز صفات الإمام أبي جعفر عليه السلام فقد أجمع المؤرخون على أنه لم يسيء إلى من ظلمه واعتدى عليه، وإنما كان يقابله بالبر والمعروف، ويعامله بالصفح

والإحسان، وقد رويت صورٌ كثيرة تُعبّر عن عظيم حلمه، كان منها: (أن رجلاً كتابياً هاجم الإمام عليه السلام واعتدى عليه، وخاطبه بمرّ القول: «أنت بقر!»

فلطف به الإمام، وقابله ببسمات طافحة بالمروءة قائل: (**لا أنا باقر**)، وراح الرجل الكتابي يهاجم الإمام قائل: «أنت ابن الطبّاخة!»

فتبسّم الإمام، ولم يثره هذا الاعتداء بل قال له: (**ذاك حرفتها**).

ولم ينته الكتابي عن غيّه، وإنما راح يهاجم الإمام قائل: «أنت ابن السوداء الزنجية البذية!»

ولم يغضب الإمام عليه السلام، وإنما قابله باللطف قائل: (**إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك**).

فبُهت الكتابي، وانبهر من أخلاق الإمام عليه السلام التي ضارعت أخلاق الأنبياء، فأعلن إسلامه واختار طريق الحق)[1].

(١) مناقب آل أبي طالب لإبن شهر آشوب: ج٣، ص ٣٣٧.

الفضل ما شهدت به الأعداء:

لقد سما أهل البيت عليهم السلام بأخلاقهم وآدابهم حتى إن مبغضيهم كانوا يحضرون مجالسهم ويتأثرون بأخلاقهم، وهذا ما أراده الأئمة من شيعتهم، أن يكونوا دعاة لهم بغير ألسنتهم، فقد روي أنه كان رجل من أهل الشام يختلف إلى أبي جعفر عليه السلام وكان مركزه بالمدينة، يختلف إلى مجلس أبي جعفر عليه السلام يقول له: يا محمد ألا ترى أني إنما أغشى مجلسك حياء منك ولا أقول إن أحداً في الأرض أبغض إليَّ منكم أهل البيت، وأعلم أن طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أمير المؤمنين في بغضكم ولكن أراك رجلاً فصيحاً لك أدب وحسن لفظ، فإنما اختلافي إليك لحسن أدبك، وكان أبو جعفر يقول له خيراً ويقول: لن تخفى على الله خافية، فلم يلبث الشامي إلا قليلاً حتى مرض واشتد وجعه فلما ثقل دعا وليه وقال له: إذا أنت مددت علي الثوب فائت محمد بن علي عليهما السلام وسله أن يصلي علي، وأعلمه أني أنا الذي أمرتك بذلك،

قال: فلما أن كان في نصف الليل ظنوا أنه قد برد وسجوه، فلما أن أصبح الناس خرج وليه إلى المسجد، فلما أن صلى محمد بن علي عليهما السلام وتورك، وكان إذا صلى عقب في مجلسه، قال له: يا أبا جعفر إن فلاناً الشامي قد هلك وهو يسألك أن تصلي عليه، فقال أبو جعفر: كلا إن بلاد الشام بلاد صرد - أي: برد - والحجاز بلاد حر ولهبها شديد، فانطلق فلا تعجلن على صاحبك حتى آتيكم، ثم قام عليه السلام من مجلسه فأخذ عليه السلام وضوءاً ثم عاد فصلى ركعتين، ثم مد يده تلقاء وجهه ما شاء الله، ثم خر ساجداً حتى طلعت الشمس، ثم نهض عليه السلام فانتهى إلى منزل الشامي فدخل عليه فدعاه فأجابه، ثم أجلسه وأسنده ودعا له بسويق فسقاه وقال لأهله: املؤا جوفه وبردوا صدره بالطعام البارد، ثم انصرف عليه السلام، فلم يلبث إلا قليلاً حتى عوفي الشامي فأتى أبا جعفر عليه السلام، فقال: أخلني فأخلاه فقال: أشهد أنك حجة الله على خلقه، وبابه الذي يؤتى منه، فمن أتى من غيرك خاب وخسر وضل ضلالاً بعيداً،

قال له أبو جعفر: وما بدا لك؟ قال: أشهد أني عهدت بروحي وعاينت بعيني فلم يتفاجأني إلا ومناد ينادي، أسمعه باذني ينادي وما أنا بالنائم: ردوا عليه روحه فقد سألنا ذلك محمد بن علي فقال له أبو جعفر: أما علمت أن الله يحب العبد ويبغض عمله، ويبغض العبد ويحب عمله؟ قال: فصار بعد ذلك من أصحاب أبي جعفر عليه السلام)[1].

العمل جهاد:

للعمل وطلب الحلال في الشريعة الإسلامية قيمة عليا حتى صار الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله لذلك كان الأئمة يسعون في طلب الحلال والكد على العيال، فقد روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن محمد بن المنكدر كان يقول: (ما كنت أرى أن مثل علي بن الحسين يدع خلفا، لفضل علي بن الحسين، حتى رأيت ابنه محمد بن علي، فأردت أن أعظه فوعظني، فقال له أصحابه: بأي شيء وعظك؟ قال: خرجت إلى بعض

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ص٢٦١.

نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيت محمد بن علي وكان رجلا بدينا وهو متكٍ على غلامين له أسودين أو موليين، فقلت في نفسي شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، أشهد لأعظنَّه، فدنوتُ منه فسلمت عليه فسلم علي بِبُهر[1]، وقد تصبب عرقاً، فقلت: أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال، قال فخلى عن الغلامين من يده، ثم تساند وقال: لو جاءني والله الموت وأنا في هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله تعالى أكف بها نفسي عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله، فقلت: يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني)[2].

نهيه عليه السلام عن المنكر وإظهار بعض كراماته:

عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن بعض أصحابه

(١) البهر: بالضم انقطاع النفس من الإعياء.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ص٢٨٤.

عن مبشر بياع الزطي[1] قال أقمت على باب أبي جعفر فطرقته فخرجت إليَّ جارية خماسية فوضعت يدي على يدها وقلت لها: قولي لمولاك هذا مبشر بالباب، فناداني من أقصى الدار: أدخل لا أبا لك ثم قال لي: أما والله يا مبشر لو كان هذه الجدار يحجب أبصارنا كما يحجب عنكم أبصاركم لكنا وأنتم سواء، فقلت: جعلت فداك والله ما أردت إلا الازدياد في ذلك إيمانا)[2].

الحسن بن مختار عن أبي بصير قال: (كنت أُقرِىء امرأة القرآن وأُعلِّمها إياه فمازحتها بشيء، فلما قدمتُ على أبي جعفر عليه السلام قال لي: يا أبا بصير أي شيء قلت للمرأة؟ فقلت بيدي هكذا يعني غطيت وجهي، فقال: لا تعودن إليها)[3].

(١) الزط بضم الزاي وتشديد المهملة جنس من السودان أو الهنود، الواحد زطي مثل زنج وزنجي. وفي القاموس: الزط بالضم جيل من الهند معرب جت بالفتح، الواحد زطي.

(٢) مناقب آل أبي طالب لإبن شهر آشوب: ج٣، ص٣١٦.

(٣) المصدر السابق.

مواساته عليه السلام لإخوانه:

عُرِف الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام بفضله وجوده وإحسانه إلى جميع الناس حتى إلى مبغضيه، مع ما أَلَمَّتْ به من شدائد وحاجات، فقد قال ولده الإمام الصادق عليه السلام: **(كان أبي أقل أهل بيته مالاً وأعظمهم مؤونة وكان يتصدق كل جمعة بدينار وكان يقول: الصدقة يوم الجمعة تُضاعَف لفضل يوم الجمعة على غيره من الأيام)**(٤).

وعن الحسن بن كثير، قال: (شكوت إلى أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام الحاجة وجفاء الإخوان فقال: **بئس الأخ أخ يرعاك غنياً ويقطعك فقيراً، ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم فقال: استنفق هذه فإذا نفدت فأعلمني)**(٥).

وعن عمرو بن دينار وعبيد الله بن عبيد بن عمير أنهما قالا: ما لقينا أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام إلا وحمل إلينا النفقة والصلة والكسوة ويقول: هذا معدة لكم قبل أن

(٤) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٧، ص٤١٣.
(٥) الإرشاد للشيخ المفيد: ص٢٨٤.

تلقوني)[1].

وعن سليمان بن قرم قال: كان أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام يجيزنا بالخمسمائة إلى الستمائة إلى الألف درهم، وكان لا يمل من صلة إخوانه وقاصديه ومؤمليه وراجيه)[2].

تضرعه وعبادته عليه السلام:

لقد خلق الله الخلق لغرض العبادة، قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[3]. وقد كان الأنبياء والأئمة عليهم السلام مثالاً كاملاً لتحقيق غرض الله وانموذجاً يحتذى من قبل الناس فكانوا أعبد أهل زمانهم، ومن هؤلاء الأئمة العباد الإمام الباقر عليه السلام فقد عرف بالعبادة كغيره من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فعن أفلح مولى أبي جعفر عليه السلام قال: (خرجت مع محمد بن علي حاجاً، فلما دخل المسجد نظر إلى البيت

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ص٢٨٤.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ص٢٨٤.

(٣) سورة الذاريات: آية٥٦.

فبكى حتى علا صوته، فقلت: بأبي أنت وأمي إن الناس ينظرون إليك، فلو خفضت[1] بصوتك قليلًا، فقال لي: ويحك يا أفلح لم لا أرفع صوتي بالبكاء لعل الله تعالى أن ينظر إلي منه برحمة فأفوز بها عنده غداً، قال: ثم طاف بالبيت ثم جاء حتى ركع عند المقام فرفع رأسه من سجوده فإذا موضع سجوده مبتل من كثرة دموع عينيه، وكان إذا ضحك قال: اللهم لا تمقتني)[2].

وروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (**كان أبي يقول في جوف الليل في تضرعه: أمرتني فلم أئتمر، ونهيتني فلم أنزجر، فها أنا ذا عبدك بين يديك ولا أعتذر**)[3].

وعنه عليه السلام: (**كان أبي عليه السلام كثير الذكر، لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله، وآكل معه الطعام وإنه ليذكر الله، ولقد كان يُحَدِّثُ القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله، وكان**

(١) في بعض النسخ: رفقت، وفي بعضها الآخر: رفعت.

(٢) كشف الغمة للإربلي: ج٢، ص٣٢٩.

(٣) كشف الغمة للإربلي: ج٢، ص٣٢٩.

يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا، ومن كان لا يقرأ منا أمره بالذكر)[1].

عن إسحاق بن عمار، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: **(إني كنت أُمهّد لأبي فراشه فانتظره حتى يأتي، فإذا أوى إلى فراشه ونام قمت إلى فراشي، وإنه أبطأ علي ذات ليلة، فأتيت المسجد في طلبه وذلك بعد ما هدأ الناس، فإذا هو في المسجد ساجد، وليس في المسجد غيره، فسمعت حنينه وهو يقول: سبحانك اللهم أنت ربي حقاً حقاً سجدت لك يا رب تعبداً ورقاً، اللهم إن عملي ضعيف فضاعفه لي، اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك، وتب علي إنك أنت التواب الرحيم)**[2].

سيرته عليه السلام في بيته:

للحياة الزوجية دور كبير في حياة الإنسان لذلك نظّم الإسلام هذه العلاقة بما شرّع من القوانين التي تضمن بناء حياة زوجية سعيدة، سواء على مستوى الحقوق

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٤٩٨.
(٢) المصدر السابق: ج٣، ص٣٢٣.

والواجبات، أم على مستوى الأمور المستحبة، ومن الأمور التي دعا لها الإسلام التزيُّن والتجمّل بين الناس وخصوصاً بين الزوجين، فكما أنه حثّ الزوجة على التزين لزوجها كذلك حثّ الزوج على التزين لزوجته، وهذا ما نلاحظه في سيرة النبي وآله عليهم السلام، فقد روي عن الحسن الزيات البصري، أنه قال: دخلت على أبي جعفر، أي الباقر عليه السلام أنا وصاحب لي فإذا هو في بيت منجد، وعليه ملحفة وردية، وقد حف لحيته واكتحل، فسألْنا عن مسائل، فلما قمنا، قال لي: يا حسن، قلت: لبيك، قال: إذا كان غداً فأتني أنت وصاحبك، فقلت: نعم جعلت فداك، فلما كان من الغد دخلت عليه وإذا هو في بيت ليس فيه إلا حصير وإذا عليه قميص غليظ، ثم أقبل على صاحبي، فقال: يا أخا البصرة إنك دخلت عليّ أمس وأنا في بيت المرأة وكان أمس يومها، والبيت بيتها، والمتاع متاعها، فتزيّنت لي، (و) عليّ أن أتزين لها كما تزينت لي، فلا يدخل قلبك شيء، فقال له صاحبي: جعلت فداك

قد كان والله دخل في قلبي فأما الآن فقد والله أذهب الله ما كان، وعلمت أن الحق فيما قلت)[1].

مواجهته عليه السلام للظالمين:

مما لا شك فيه أن الأمويين كانوا يضيقون على الإمام الباقر عليه السلام العيش، وعانى من ظلمهم منذ أن ولد وحتى استشهد بعد أن دسوا له السم، يستثنى من ذلك عهد عمر بن عبد العزيز والذي استمر فترة قصيرة ناهزت السنتين والنصف، وكان عليه السلام يسمع كيف يشتم جده الإمام علي عليه السلام على المنابر بأمر الأمويين وهو يصبر على مضض ولا يستطيع منع تلك الهمجية الأموية، وفي تلك الظروف الحالكة والظلم الشديد استطاع رغم ذلك فتح باب العلوم على مصراعيه فكان بحق باقر علوم الأولين والآخرين.

ما أن استولى هشام بن عبد الملك - المعروف بـ: أحول بني أميَّة- على الحكم بعد هلاك أخوه يزيد، حتى أمر عامِلَه على المدينة بحمل الإمام إلى دمشق، وذلك

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج٦، ص٤٤٨.

لغرض الحَدِّ من تحرُّك الإمام عليه السلام وتأثيره على الناس.

كان هشام بن عبد الملك حقوداً على ذوي الأحساب العريقة، ومبغضاً لكل شريف، وهو الذي قتل زيد بن علي عليهما السلام، وتعرَّض الإمام الباقر عليه السلام في عهده إلى ضروب من المِحَن والآلام.

الإمام عليه السلام في دمشق:

لما انتهى الإمام الباقر عليه السلام إلى دمشق، وعَلِم هشام بقدومه، أوعزَ إلى حاشيته أن يقابلوه بمزيد من التوهين والتوبيخ عندما ينتهي حديثه معه.

ودخل الإمام عليه السلام على هشام، فَسَلَّم على القوم، ولم يُسلِّم عليه بالخلافة.

فاستشاط هشام غضباً، وأقبل على الإمام عليه السلام فقال له: يا محمد بن علي، لا يزال الرجل منكم قد شَقَّ عصا المسلمين، ودعا إلى نفسه، وزعم أنه الإمام سفهاً، وقِلَّة عِلم.

ثم سكت هشام، فانبرى عملاؤه، وجعلوا ينالون

من الإمام عليه السلام ويسخرون منه.

وهنا تكلم الإمام عليه السلام فقال: **(أيُّها الناس، أين تذهبون؟ وأين يُرَاد بكم؟ بِنَا هدى الله أوَّلكم، وبنا يختم آخركم، فإنَّ يَكُن لكم مُلْكٌ مُعَجَّل، فإنَّ لنا مُلكاً مؤجلاً، وليس بعد مُلكِنا مُلك، لأنَّا أهل العاقبة، والعاقبة للمتقين)**.

وخرج الإمام عليه السلام بعد أن ملأ نفوسهم حزناً وأسى، ولم يستطيعوا الرد على منطقه القوي.

وازدحم أهل الشام على الإمام عليه السلام وهم يقولون: هذا ابن أبي تراب.

فرأى الإمام عليه السلام أن يهديهم إلى سواء السبيل، ويعرفهم بحقيقة أهل البيت عليهم السلام.

فقام عليه السلام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وصَلَّى على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال: **(اِجتنبوا أهل الشِّقاق، وذُرِّية النِّفاق، وحشو النار، وحصب جَهَنَّم، عن البَدْر الزاهر، والبحر الزَّاخِر، والشهاب الثَّاقب، وشهاب**

المؤمنين، والصراط المستقيم، من قبل أن نطمس وجوهاً فَنَردُّها على أدبارها، أو يُلعَنوا كما لُعِن أصحاب السبت، وكان أمر الله مفعولاً).

ثم قال عليه السلام بعد كلام له: (أبِصِنْوِ رسول الله صلى الله عليه وآله - أي: الإمام علي عليه السلام - تستهزئون؟ أم بِبَعْسوب الدِّين تلمزون ؟ وأيُّ سبيلٍ بَعدَه تسلكون ؟ وأيُّ حُزن بَعده تدفعون؟

هيهات، برز والله بالسبق، وفاز بالخصل، واستولى على الغاية، وأحرز على الختار [الغدر]، فانحسرت عنه الأبصار، وخضعت دونه الرقاب، وفرع الذُّروة العُليا، فَكذب من رام من نفسه السعي، وأعياه الطلب، فأنَّى لهم التناوش من مكان بعيد؟!.

فَأنَّى يسدُّ ثلمة أخي رسول الله صلى الله عليه وآله إذ شَفَعُوا، وشقيقه إذْ نَسَبوا، وندّ يده إذ قَتَلوا، وذي قرني كنزها إذ فَتَحوا، ومُصلِّي القبلتين إذ تَحرَّفوا، والمشهود له بالإيمان إذ كَفَروا، والمُدَّعي لنبذ عهد المشركين إذ نكلوا، والخليفة عَلى المِهَاد ليلة الحصار إذ جَزَعوا، والمستودع الأسرار

ساعة الوداع).

ولمّا ذاع فضل الإمام عليه السلام بين أهل الشام، أمر الطاغية باعتقاله وسجنه.

وحين احتفَّ به السجناء، وأخذوا يتلقون من علومه وآدابه، خشي مدير السجن من الفتنة، فبادر إلى هشام فأخبره بذلك، فأمره بإخراجه من السجن، وإرجاعه إلى بلده (المدينة).

وهنا أمر الطاغية بمغادرة الإمام الباقر عليه السلام لمدينة (دمشق)، خوفاً من أن يفتتن الناس به، وينقلب الرأي العام ضد بني أمية.

ولكنه أوعَزَ إلى أسواق المدن، والمحلات التجارية، الواقعة في الطريق، أن تغلق محلاتها بوجهه، ولا تبيع عليه أية بضاعة، وأراد بذلك هلاك الإمام عليه السلام والقضاء عليه.

وسارَت قافلة الإمام عليه السلام وقد أضناها الجوع والعطش، فاجتازت على بعض المدن، فبادر أهلها إلى

إغلاق محلاَّتهم بوجه الإمام عليه السلام، ولما رأى الإمام ذلك صعد على جبل هناك، ورفع صوته قائلاً: (يا أهل المدينة، الظالم أهلها، أنا بقية الله، يقول الله تعالى: ﴿**بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ**﴾)[1].

وما أنهى الإمام عليه السلام هذه الكلمات حتى بادر شيخ من شيوخ المدينة فنادى أهل قريَتِه قائلاً: يا قوم، هذه والله دعوة شعيب، والله لَئِن لم تخرجوا إلى هذا الرجل بالأسواق لتُؤخذُنَّ من فوقكم، ومن تحت أرجلكم، فصدِّقُوني هذه المرة، وأطيعوني، وكذِّبوني فيما تستأنفون، فإني ناصح لكم.

وفزع أهل القرية، فاستجابوا لدعوة الشيخ الذي نَصَحَهم، ففتحوا حوانيتهم، واشترى الإمام عليه السلام ما يريده من المتاع، وفَسَدَت مكيدة الطاغية، وما دبَّره للإمام عليه السلام، وقد انتهت إليه الأنباء بِفَشَل مؤامرته[2].

(١) سورة هود: آية٨٦.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٤٧١.

الحياة العلمية والسياسية في زمنه عليه السلام:

أولاً: الحياة العلمية والثقافية:

لقد أثرت الحياة السياسية وما سادها من قلق واضطرابات على الحياة العلمية تأثيراً سلبياً واضحاً، ظهرت معالمه بكثير من الجمود والخمول في عصر الإمام الباقر عليه السلام.

فالتيارات السياسية غيرت ثقافة الناس، فتهالكت من خلالها البيوتات الرفيعة على الظفر بالحكم، والطاقات البشرية والمالية استهلكت جميعها في حروب طاحنة ومذهلة.

والنكبات الفظيعة التي مُنِيت فيها الأمّة، وجرت عليها أفدح الخسائر المادية والبشرية.

كل ذلك أثَّر على الحركة العلمية، وجعلها تتردَّى ضموراً وانحلالاً.

أما الحياة الثقافية في عصر الإمام الباقر عليه السلام فقد مَرَّت بحالة من الجمود، وكانت ضحلة للغاية، لأنَّ معظم

الناس من حُكَّام ومحكومين ابتعدوا عن الأخلاق النبيلة، والمثل العليا التي جاء بها الإسلام، وعادوا إلى جاهليتهم الأولى من عصبية قبلية، وتفاخر بالآباء والأنساب.

وكان الطابع العام للأدب في ذلك العصر هو التفاخر والتنابز، ولم يكن يمثل وعياً فكرياً، بل كُلّه شَرٌّ وضرر للناس جميعاً.

ثانياً: الحياة السياسية:

أصبحت الحياة السياسية بسبب التنازع الداخلي، والعصبية القبلية المدمرة في ذلك العصر وضيعة وبشعة للغاية، فالفتن والاضطرابات عَمَّت بين الناس في البلاد، وبدأت أحداث رهيبة ومفجعة أدَّتْ إلى فقدان الأمن، وانتشار الخوف، ثم تطوَّرَت هذه الأحداث، فقامت ثورات دامية ذهب ضحيتها آلاف الأبرياء، وهذا بلا ريب نتيجة السياسة الأموية الخاطئة، التي كان كل هَمِّها تحقيق أهدافها الخاصة، ومآربها الشخصية، بعيداً عن مصالح شعوبها العامة.

ونتج عن ذلك وجود أحزاب سياسية كل منها كان يسعى لتحقيق غاياته، ونشر مبادئه، التي تتعارض مع الأحزاب الأخرى.

مميزات مدرسة أهل البيت عليهم السلام:

مدرسة أهل البيت عليهم السلام هي أول مدرسة فكرية أُنشِأت في الإسلام، وقد عَملت بِكُلِّ طاقاتها على تقدّم حياة المسلمين وتطويرها.

ولم تقتصر علومها على التشريع الإسلامي، وإنما تناولت جميع العلوم والمعارف من الإدارة، إلى الاقتصاد، إلى الطبِّ والكيمياء، إلى الحكمة والفلسفة، إلى علم الكلام، والعلوم السياسية.

هذه المؤسسة العظيمة قامت بدور مهم في تأسيس هذه العلوم وتدوينها، بعد أن مَنَع الخليفةُ الأول والثاني تدوينَ الحديث الشريف، لأن ذلك قد يؤثِّر على تلاوة القرآن، وانشغال الناس بالحديث عن كتاب الله تعالى.

وتميزت مدرسة أهل البيت عليهم السلام بما يأتي:

أولاً: الاتصال بالنبي صلى الله عليه وآله:

فالشيء المهم في فقه أهل البيت عليهم السلام هو أنه يتصل اتصالاً مباشراً بالنبي صلى الله عليه وآله، فطريقُهُ إليه أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب اللهُ عنهم الرجسَ وطهَّرَهم تطهيراً، وجعلهم النبي صلى الله عليه وآله سُفُن النجاة، وأَمْن العِبَاد، وعُدَلاء الذكر الحكيم، حَسْبَما تواترت الأخبار بذلك.

قال عليه السلام: **(لو إنَّنا حَدَّثنا برأينا ضَلَلْنا، كما ضَلَّ من قبلنا، ولكِنَّا حَدَّثنا بِبَيِّنَة من رَبِّنا بَيَّنها لنبيِّه صلى الله عليه وآله، فَبَيَّنَها لَنا)**[1].

ثانياً: المُرُونة:

إنَّ فِقه أهل البيت عليهم السلام يساير الحياة، ويواكب التطوُّر، ولا يَشُذُّ عن الفطرة، ويتمشَّى مع جميع مُتطلَّبات الحياة، فَلَيس فيه حرج ولا ضيق، ولا ضرر ولا إضرار، وإنما فيه الصالح العام، والتوازن في جميع مناحي تشريعاته، وقد نال إعجاب جميع رجال القانون، واعترفوا بأنه من أثْرى ما قُنِّنَ في عالم التشريع، عُمقاً وأصالة وإبداعاً.

(١) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار: ص٣١٩.

ثالثاً: فتح باب الاجتهاد:

إنَّ من أهم ما تَميَّز به فقه أهل البيت عليهم السلام هو فتح باب الاجتهاد، فقد دلَّ ذلك على حَيَويَّة فقههم، وتفاعله مع الحياة، واستمراره في العطاء لجميع شؤون الإنسان، وإنه لا يقف عاجزاً أمام الأحداث المستجِدَّة التي يُبتلى بها الناس خصوصاً في هذا العصر الذي برزت فيه كثير من الأحداث، واستحدثت فيه كثير من الموضوعات.

وقد أدرك كبار علماء المسلمين من الأزهر في عصرنا الحاضر مدى الحاجة الملحَّة إلى فتح باب الاجتهاد، كما فعلت الشيعة الإمامية.

رابعاً: الرجوع إلى حكم العقل:

اِنفرد فقهاء الإمامية عن بقيَّة المذاهب الإسلامية فَجَعلوا العقل واحداً من المصادر الأربعة لاستنباط الأحكام الشرعية، وقد أضفوا عليه أسمى ألوان التقديس فاعتبروه رسول الله الباطني، وإنه مما يُعبَد به الرحمن، ويكتَسب به الجنان.

ومن الطبيعي أن الرجوع إلى حكم العقل إنَّما يَجوز إذا لم يكن في المسألة نَصٌّ خاص أو عام، وإلا فهو مُقدَّمٌ عليه، وإن للعقل مَسرحاً كبيراً في علم الأصول الذي يتوقف عليه الاجتهاد.

خامساً: تنوع علوم المدرسة:

إنَّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي كان يشرف عليها الإمام الباقر عليه السلام لم تقتصر على تدريس علم الفقه، بل اهتمَّت بجميع العلوم العلمية، والفكرية، والاجتماعية، والأدبية، والتاريخية.

مدرسة أهل البيت عليهم السلام في زمانه عليه السلام:

ازدهرت هذه المدرسة في عهد الإمام الباقر عليه السلام، حتى قيل لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليهما السلام من العلوم ما ظهر من الإمام الباقر عليه السلام من التفسير والكلام والفتيا والأحكام والحلال والحرام، قال محمد بن مسلم: (ما شجر في رأيي شيء قط إلا سألت عنه أبا جعفر عليه السلام حتى سألته عن ثلاثين ألف حديث، وسألت أبا عبد الله عليه السلام

عن ستة عشر ألف حديث)[1].

قام الإمام عليه السلام برعاية هذه المدرسة الرسالية، حتى باتَتْ معروفة على صعيد العالم الإسلامي، ففي عصر الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بدأت الدولة الأموية بالتصدع، وبدأت عندها الدعوة العباسية بالظهور.

فاستغل الإمام الباقر عليه السلام هذا الظرف المناسب، وفتح مدرسة أهل البيت عليهم السلام الشهيرة، مما جعل العلماء يلتفُّون حوله، من كل حدب وصوب، وينهلون من نَمِير علومه، ومعارفه، وحِكَمِه، وتفسيراته، وقد تخرَّج من هذه المدرسة مجموعة كبيرة من الرواة، والمحدِّثين، والعلماء الثقات، فتَلقّوا علوماً كثيرة في شتى المجالات، نذكر نموذجاً منهم: زرارة بن أعين، محمد بن مسلم، أبان بن تغلب، عطاء بن أبي رباح، عمرو بن دينار، الزهري، ربيعة الرأي، ابن جريح، الأوزاعي، بسام الصيرفي، أبو حنيفة، جابر بن حيان الكوفي. وقد روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة، ووجوه التابعين، ورؤساء فقهاء

(١) الاختصاص للشيخ المفيد: ص٢٠١.

المسلمين.[1]

وذاع فضل الإمام عليه السلام بين الناس حيث ذكر ابن شهر آشوب في المناقب عن حبابة الوالبية إنها قالت: (رأيت رجلاً بمكة أصيلاً[2] بالملتزم أو بين الباب والحجر على صعدة من الأرض وقد حزم وسطه على المئزر بعمامة خز والغزالة[3] تخال على ذلك الجبال كالعمائم على قمم الرجال وقد صاعد كفه وطرفه نحو السماء ويدعو فلما انثال الناس عليه يستفتونه عن المعضلات ويستفتحون أبواب المشكلات فلم يرم حتى أفتاهم في ألف مسألة، ثم نهض يريد رحله ومناد ينادي بصوت صهل[4]: ألا إنّ هذا النور الأبلج[5] المسرج والنسيم الأَرِج[6] والحق المرج وآخرون يقولون: من هذا فقيل محمد بن علي الباقر

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤٦، ص٢٩٤.
(٢) الأصيل: وقت العصر وبعده.
(٣) الغزالة: الشمس.
(٤) الصهل: حدة الصوت.
(٥) الأبلج: الواضح والمضّي.
(٦) الأرج: الذي تفوح منه رائحة طيبة.

علم العلم الناطق عن الفهم محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام)[1].

وكان ذلك مُصداقاً لما أخبر به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله جابرَ بن عبد الله الأنصاري، حيث قال صلى الله عليه وآله: **(يَا جَابر يُوشَك أن تلحق بِوَلد مِن وُلدِ الحسين، اسمُهُ كاسمي، يبقر العِلْم بقراً، فإِذَا رأيتَهُ فأَقرِأْهُ مِنِّي السَّلام)**[2].

نعم، لقد بقر الإمام الباقر عليه السلام العلمَ، وفَجَّره في جميع مجالات الحياة، من خلال هذه المدرسة العظيمة.

وقد روى السيد حسن الصدر في كتابه: أن الشيعة هم أول من عنوا بالفقه وتدوين بعض مسائله، كالصلاة، والوضوء، وسائر الأبواب، ومن هؤلاء نذكر علي بن أبي رافع »، فقد كان من أعلام الشيعة وخيارهم في عصر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، كما أنه كان كاتباً له عليه السلام، فألَّف كتاباً في فنون الفقه، فَصَّل فيه كل الأبواب المتعلقة بالعبادة.

(١) مناقب آل أبي طالب لإبن شهر آشوب: ج٣، ص٣١٧.
(٢) سبائك الذهب للمسعودي: ص٣٢٩.

وكذلك سليم بن قيس الهلالي الكوفي»، وهو مؤلف آخر، له شأن كبير في هذا الموضوع، فكان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وعَاشَ إلى زمن الطاغية الحَجَّاج بن يوسف، وقد أراد الحجاج الفتك به، فلجأ إلى أبان بن عَيَّاش، فآواه، وحينما حضرته الوفاة أعطاه كتابه المشهور باسمه، وهو أول كتاب ظهر للشيعة، رواه أبان بن أبي عياش.

تراث الإمام الباقر عليه السلام التفسيري:

لا ريب في أنّ القرآن الكريم هو أوّل مصادر التشريع الإسلامي، وأهم مصادر الثقافة الإسلامية، التي تعطي للأمّة الإسلامية وللرسالة الإلهية هويّتها الخاصّة، وتسير بالأُمة إلى حيث الكمال الإنساني المنشود.

وقد اعتنى الإمام الباقر عليه السلام كسائر الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام بالقرآن الكريم تلاوةً وحفظاً وتفسيراً، وصيانةً له عن أيدي العابثين وانتحال المبطلين، فكانت محاضراته التفسيرية للقرآن الكريم تشكّل حقلاً خصباً

لنشاطه المعرفي وجهاده العلمي، وهو يرسم للأُمة المسلمة معالم هويتها الخاصّة.

ومن هنا خصّص الإمام عليه السلام للتفسير وقتاً من أوقاته، وتناول فيه جميع شؤونه، وقد أخذ عنه علماء التفسير ـ على اختلاف آرائهم وميولهم ـ الشيء الكثير، فكان من ألمع المفسّرين للقرآن الكريم في دنيا الإسلام.

وقد نهج الإمام الباقر عليه السلام في تفسير القرآن الكريم منهجاً علميّاً خاصّاً متّسقاً مع أهداف الرسالة وأُصولها، ونهى على أهل الرأي والاستحسان وأهل التأويل والظنون، فكان ممّا اعترض به على قتادة أن قال له: **(بلغني أنّك تفسّر القرآن!)**.

فقال له: نعم.

فأنكر عليه الإمام عليه السلام قائلاً: **(يا قتادة إن كنت قد فسّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قد فسّرته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، يا قتادة ويحك إنّما يعرف القرآن من خوطب به)**.

وقد قصر الإمام عليه السلام معرفة الكتاب العزيز على أهل البيت عليهم السلام، فهم الذين يعرفون المحكم من المتشابه، والناسخ من المنسوخ، وليس عند غيرهم هذا العلم.

فقد ورد عنهم عليهم السلام: (**أنّه ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، الآية يكون أوّلها في شيء، وآخرها في شيء، وهو كلام متّصل ينصرف إلى وجوه**).

أمّا الأخذ بظواهر الكتاب فلا يعد من التفسير بالرأي المنهيّ عنه.

وألّف الإمام الباقر عليه السلام كتاباً في تفسير القرآن الكريم نص عليه ابن النديم في (الفهرست) عند عرضه للكتب المؤلّفة في تفسير القرآن الكريم حيث قال: كتاب الباقر محمّد بن علي بن الحسين رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر رئيس الجارودية.

نماذج من تفسيره:

١- فسّر الإمام الباقر عليه السلام الهداية في قوله تعالى:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[1]، بالولاية لأئمّة أهل البيت عليهم السلام حين قال: (فو الله لو أنّ رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام، ولم يجيء بولايتنا إلاّ أكبّه الله في النار على وجهه)[2].

٢- وعن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[3]، قال عليه السلام: (إنّ الله أوحى إلى نبيّه أن يستخلف علياً فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه، فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره الله بأدائه)[4].

٣-وفي قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[5]، قال عليه السلام: (تنزّل الملائكة والكَتَبة إلى سماء الدنيا، فيكتبون ما يكون في السنة من أمور ما يصيب العباد، والأمر عنده موقوف له فيه على المشيئة،

(١) سورةطه: آية٨٢.

(٢) تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي: ج٧، ص٤٥.

(٣)سورة المائدة: آية٦٧.

(٤) التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي: ج٣، ص٥٨٨.

(٥) سورة القدر: آية ٤.

فيقدّم ما يشاء، ويؤخّر ما يشاء، ويثبت، وعنده أم الكتاب)[1].

٤- وفي قوله تعالى: ﴿**فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ**﴾[2]، قال الإمام عليه السلام في سبب نزولها: (**هم قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم ثمّ خالفوه إلى غيره**)[3].

٥- وفي قوله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[4]، روى محمّد بن مسلم قال: قلت للإمام أبي جعفر عليه السلام: إنّ من عندنا يزعمون أنّ المعنيين بالآية هم اليهود والنصارى، قال: (إذاً يدعونكم إلى دينهم!)، ثمّ أشار عليه السلام إلى صدره فقال: (**نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون**)[5].

٦- وفي قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ**

(١) دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي: ج٢، ص٢٨١.
(٢) سورة الشعراء: آية ٩٤.
(٣) الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٤٧.
(٤) سورة النحل: آية ٤٣.
(٥) الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٢١١.

بِإِمَامِهِمْ﴾[1]، روى جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: **(لمّا نزلت هذه الآية، قال المسلمون: يا رسول الله ألست إمام الناس كلّهم أجمعين؟ فقال صلى الله عليه وآله: أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمّة على الناس من أهل بيتي يقومون في الناس فيُكَذّبون، ويظلمهم أئمّة الكفر والضلال وأشياعهم، فمن والاهم واتّبعهم، وصدّقهم فهو منّي ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذّبهم فليس منّي، ولا معي، وأنا منه بريء)**[2].

٧- وسئُل الإمام الباقر عليه السلام عن قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾**[3]، فقال عليه السلام: **(السابق بالخيرات الإمام، والمقتصد العارف للإمام، والظالم لنفسه الذي لا يعرف الإمام)**[4].

(١) سورة الإسراء: آية ٧١.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٢١٥.

(٣) سورة فاطر: آية ٣٢.

(٤) الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٢١٤.

٨- وعن المتوسّمين في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾[٥]، قال عليه السلام: (**قال أمير المؤمنين عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله المتوسّم، وأنا من بعده والأئمّة من ذرّيتي المتوسّمون**)[٦].

٩- وفي قوله تعالى: ﴿**وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا**﴾[٧]، قال عليه السلام: (**يعني لو استقاموا على ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء من ولده، وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماءاً غدقاً، يعني أشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقة: هي الإيمان بولاية علي والأوصياء**)[٨].

١٠- وفي ما يرتبط بقوله تعالى: ﴿**قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾[٩]، سأل بريد بن معاوية الإمام عليه السلام عن المعنيين بقوله تعالى:

---

(٥) سورة الحجر: آية ٧٥.

(٦) الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٢١٨.

(٧) سورة الجن: آية١٦.

(٨) الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٢٢٠.

(٩) سورة الرعد: آية ٤٣.

﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾؟ فقال عليه السلام: (إيّانا عنى، وعليّ أوّلنا، وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله)[1].

مسائل لا يجيب عنها إلا نبي أو وصي نبي:

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي الربيع قال: حججت مع أبي جعفر عليه السلام في السنة التي حج فيها هشام بن عبد الملك، وكان معه نافع مولى عمر بن الخطاب فنظر نافع إلى أبي جعفر عليه السلام في ركن البيت وقد اجتمع عليه الخلق فقال: يا أمير المؤمنين من هذا الذي قد تكافأ عليه الناس؟ فقال: هذا محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام.

قال: لآتينه ولأسألنه عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي، قال: فاذهب إليه لعلك تخجله، فجاء نافع حتى اتكأ على الناس وأشرف على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا محمد بن علي إني قرأت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وقد عرفت حلالها وحرامها، وقد

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٢٢٩.

جئت أسألك عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي أو ابن نبي، فرفع أبو جعفر عليه السلام رأسه فقال: سل عما بدا لك!

قال: اخبرني كم بين عيسى ومحمد من سنة؟

قال: **أجيبك بقولك أم بقولي؟**

قال: أجبني بالقولين!

قال: **أما بقولي فخمسمائة سنة، وأما بقولك فستمائة سنة.**

قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ**﴾[1] من الذي سأل محمد وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة؟ قال: فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[2]، **كان من الآيات التي أراها محمداً حيث أسرى**

(١) سورة الزخرف: آية ٤٥.

(٢) سورة الإسراء: آية ١.

به إلى بيت المقدس، أنه حشر الله الأولين والآخرين، من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرئيل عليه السلام فأذن شفعاً وأقام شفعاً وقال في أذانه: (حي على خير العمل) ثم تقدم محمد صلى الله عليه وآله فصلى بالقوم، فلما انصرف قال الله عز وجل: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[1].

فقال رسول الله: على ما تشهدون؟ وما كنتم تعبدون؟

قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله، أخذت على ذلك عهودنا ومواثيقنا.

فقال: صدقت يا أبا جعفر!

قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل: **﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾**[2] أي أرض تبدل؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: **خبزة بيضاء يأكلونها حتى يفرغ الله من حساب الخلايق.**

فقال: إنهم عن الأكل لمشغولون.

---

(١) سورة الزخرف: آية ٤٥.

(٢) سورة إبراهيم: آية ٤٨.

فقال أبو جعفر عليه السلام: **أهم حينئذ أشغل أم هم في النار؟**

قال نافع. بل هم في النار.

قال: **فقد قال الله عز وجل: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنْ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمْ اللهُ﴾[1] ما أشغلهم إذا دعوا بالطعام فأطعموا الزقوم، ودعوا بالشراب فسقوا من الجحيم.**

فقال: صدقت يا بن رسول الله! وبقيت مسألة واحدة.

قال: **وما هي؟**

قال: فأخبرني متى كان الله؟ قال: **ويلك أخبرني متى لم يكن حتى أخبرك متى كان؟! سبحان من لم يزل ولا يزال، فردا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا،** ثم أتى هشام بن عبد الملك فقال: ما صنعت؟ قال: دعني من كلامك والله هو أعلم الناس حقا وهو ابن رسول الله حقا)[2].

وعن إسماعيل بن أبان، عن عمر بن عبد الله الثقفي

(١) سورة الأعراف: آية ٥٠.

(٢) الاحتجاج للشيخ الطبرسي: ج٢، ص٥٩-٦٠.

قال: أخرج هشام بن عبد الملك أبا جعفر عليه السلام من المدينة إلى الشام فأنزله منه وكان يقعد مع الناس في مجالسهم فبينا هو قاعد وعنده جماعة من الناس يسألونه إذ نظر إلى النصارى يدخلون في جبل هناك فقال: **ما لهؤلاء؟ ألهم عيد اليوم؟** فقالوا: لا يا ابن رسول الله ولكنهم يأتون عالما لهم في هذا الجبل في كل سنة في هذا اليوم فيخرجونه فيسألونه عما يريدون وعما يكون في عامهم فقال أبو جعفر عليه السلام: **وله علم؟** فقالوا: هو من أعلم الناس قد أدرك أصحاب الحواريين من أصحاب عيسى عليه السلام قال: **فهل نذهب إليه؟** قالوا: ذاك إليك يا ابن رسول الله، قال: فقنع أبو جعفر عليه السلام رأسه بثوبه ومضى هو وأصحابه فاختلطوا بالناس حتى أتوا الجبل فقعد أبو جعفر عليه السلام وسط النصارى هو وأصحابه وأخرج النصارى بساطا، ثم وضعوا الوسائد، ثم دخلوا فأخرجوه ثم ربطوا عينيه، فقلب عينيه كأنهما عينا أفعى ثم قصد إلى أبي جعفر عليه السلام فقال: يا شيخ أمنا أنت أم من الأمة المرحومة؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: **بل من الأمة المرحومة**، فقال: أفمن علمائهم أنت أم من جهالهم؟ فقال: **لست من جهالهم** فقال: النصراني أسألك أم تسألني؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: **سلني**، فقال النصراني: يا معشر النصارى رجل من أمة محمد يقول: سلني إن هذا لملئ بالمسائل ثم قال: يا عبد الله أخبرني عن ساعة ما هي من الليل ولا من النهار أي ساعة هي؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: **ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس**، فقال النصراني: فإذا لم تكن من ساعات الليل ولا من ساعات النهار فمن أي الساعات هي؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: **من ساعات الجنة وفيها تفيق مرضانا**، فقال النصراني: فأسألك أم تسألني؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: **سلني**، فقال النصراني: يا معشر النصارى إن هذا لملئ بالمسائل، أخبرني عن أهل الجنة كيف صاروا يأكلون ولا يتغوطون أعطني مثلهم في الدنيا ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: **هذا الجنين، في بطن أمه يأكل مما تأكل أمه ولا يتغوط**، فقال النصراني: ألم تقل: ما أنا من علمائهم؟ فقال أبو

جعفر عليه السلام: **إنما قلت لك: ما أنا من جهالهم،** فقال النصراني: فأسألك أو تسألني، فقال أبو جعفر عليه السلام: **سلني،** فقال: يا معشر النصارى والله لأسألنه عن مسألة يرتطم فيها كما يرتطم الحمار في الوحل، فقال له، **سل،** فقال: أخبرني عن رجل دنا من امرأته فحملت باثنين حملتهما جميعا في ساعة واحدة وولدتهما في ساعة واحدة وماتا في ساعة واحدة ودفنا في قبر واحد عاش أحدهما خمسين ومائة سنه وعاش الآخر خمسين سنة من هما ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: **عزير وعزرة كانا حملت أمهما بهما على ما وصفت ووضعتهما على ما وصفت وعاش عزير وعزرة كذا وكذا سنة ثم أمات الله تبارك وتعالى عزيرا مائة سنة ثم بعث وعاش مع عزرة هذه الخمسين سنة وماتا كلاهما في ساعة واحدة،** فقال: النصراني يا معشر النصارى: ما رأيت بعيني قط أعلم من هذا الرجل لا تسألوني عن حرف وهذا بالشام ردوني، قال: فردوه إلى كهفه ورجع النصارى مع أبي جعفر عليه السلام)[1].

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج٨، ص١٢٢.

الإمام الباقر عليه السلام ومسائل طاووس اليماني:

أقبل طاووس اليماني مع جماعة من أصحابه على الإمام الباقر عليه السلام فقال: أتأذن لي في السؤال؟

فقال عليه السلام: (**أَذِنَّا لك فَسَلْ**).

قال: فأخبرني متى هلك ثُلث الناس؟

قال عليه السلام: (**وَهُمت يا شيخ، أردت أن تقول: متى هلك ربع الناس؟ وذلك يوم قتل قابيل هابيل، كانوا أربعة: آدم، وحواء، وقابيل، وهابيل، فهلك ربعهم**).

فقال: أَصَبتَ وَوَهَمْتُ أنا، فأيهما كان أباً للناس القاتل أو المقتول

قال عليه السلام: (**لا واحد منهما، بل أبوهم شيث بن آدم**).

قال: لِمَ سُمِّيَ آدمُ آدم؟

فقال عليه السلام: (**لأَنَّه رُفعت طينته من أديم الأرض السفلى**).

قال: وَلِمَ سُمِّيَت حوَّاءُ حوَّاءاً؟

فقال عليه السلام: (**لأنَّها خُلقت من ضلع حيٍّ**) يعني ضلع

آدم.

قال: فَلِمَ سُمِّي إبليس إبليساً؟

قال عليه السلام: **(لأنَّه أَبلَسَ- آيَسَ - من رحمة الله فلا يرجوها).**

قال: فَلِمَ سُمِّي الجِنُّ جِنّاً؟

قال عليه السلام: **(لأنَّهم استَجَنُّوا فلم يروا).**

قال: فَأخبرني عن أولِ كذبة كُذِبَتْ، ومن صاحبها؟

فقال عليه السلام: **(إبليس، حين قال: أنا خير منه، خلقتني من نار وخلقته من طين).**

قال: فأخبرني عن رسولٍ بعثه اللهُ تعالى ليس من الجنِّ، ولا من الإنس، ولا من الملائكة، ذكره الله تعالى في كتابه.

فقال عليه السلام: **(الغراب، حين بعثه الله عزَّ وجلَّ لِيُرِي قابيلَ كيف يواري سَوْأةَ أخيه هابيل حين قتله).**

قال: فأخبرني عن شيء يزيد وينقص، وعن شيء يزيد ولا ينقص، وعن شيء ينقص ولا يزيد؟

فقال عليه السلام: (**أمَّا الشيء الذي يزيد وينقص فهو (القَمَرُ)، والشيء الذي يزيد ولا ينقص فهو (البَحْرُ)، والشيء الذي ينقص ولا يزيد فهو (العُمْرُ)**).

قال: فأخبرني عن قوم شَهِدوا شهادة الحقِّ وكانوا كاذبين؟

قال عليه السلام: (**المنافقون حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: نشهد أنَّك لَرَسُول الله، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله وَاللهُ يَعلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولهُ وَاللهُ يَشهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾**[1]).

قال: فأخبرني عن طائرٍ طارَ مرَّة، ولم يَطِر قبلها ولا بعدها؟، ذكره الله عزَّ وجلَّ في القرآن، ما هو؟

فقال عليه السلام: (**طور سيناء، أطارَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ على بني إسرائيل حين أظلَّهم بجناح منه، فيه ألوان العذاب، حتى قبلوا التوراة، وذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَ نَتَقنَا الجَبَلَ فَوقَهُم كَأَنَّهُ ظلَّة وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِم﴾**)[2].

(١) سورة المنافقون: آية ١.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٧١.

قال: فأخبرني عمَّن أنذر قومه، ليس من الجنِّ ولا من الإنس ولا من الملائكة، ذكره الله عزَّ وجلَّ في كتابه؟

قال عليه السلام: (**النَّملة حين قالت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمل ادخُلُوا مَسَاكِنَكُم لا يَحْطِمَنَّكُم سُلَيمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُم لا يَشعُرُونَ﴾**)[1].

قال: فأخبرني عمَّن كُذِب عليه، ليس من الجنِّ ولا من الإنس ولا من الملائكة، ذكره الله عزَّ وجلَّ في كتابه؟

قال عليه السلام: (**الذئبُ الذي كذبَ عليه أخوة يوسف**).

قال: فأخبرني عن شيءٍ قليلُه حَلالٌ وكثيرُه حرامٌ، ذكره الله عزَّ وجلَّ في كتابه؟

قال عليه السلام: (**نهر طالوت، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غرْفَةً بِيَدِهِ﴾**)[2].

قال: فأخبرني عن صلاة مفروضة، تُصَلَّى بغير وضوءٍ، وعن صوم لا يحجز عن أكلٍ ولا شربٍ؟

قال عليه السلام: (**أمّا الصلاة بغير وضوء فالصلاة على النبي**

(١) سورة النحل: آية ١٨.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٤٩.

وآله صلى الله عليه وآله، وأما الصوم فقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنِّي نَذَرتُ لِلرَّحمَنِ صَوماً فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَومَ إِنسِياً﴾ (١))(٢).

وصيته لولده الإمام الصادق عليه السلام:

الوصية زبدة الأفكار وخلاصة الآراء، تتجمّع في وجدان الإنسان بعد تجارب عديدة في الحياة، وعندما يثقل وزنها تنطلق من صدور أصحابها غنية بهادّتها، مصيبة في أهدافها لأنّها صادرة من عقل راجح، وفكر طامح، وشعور عميق، وفكر دقيق.

وقد أثر عن حفيد النبوّة الإمام الباقر عليه السلام وصايا كثيرة، وجّه بعضها لأبنائه، وبعضها الآخر لأصحابه، وهي تزخر بآداب السلوك، وتفيض بالقيم العظيمة، والمثل العليا الكريمة، قالها عليه السلام من أجل التوجيه الصالح الذي يصون الإنسان من الانحراف، والإرشاد الصحيح الذي يحفظ الأمّة من الانزلاق في المتاهات المظلمة، والمنعطفات الخطرة.

(١) سورة مريم: آية ٢٦.

(٢) الإحتجاج للشيخ الطبرسي: ج٢، ص٦٤.

من هذه الوصايا الخالدة نذكر: وصيته لولده الإمام الصادق عليهما السلام: قال عليه السلام: **(يا بني إنّ الله خبّأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء: خبّأ رضاه في طاعته، فلا تحقرن من الطاعة شيئاً فلعل رضاءه فيه، وخبّأ سخطه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئاً فلعل سخطه فيه، وخبّأ أولياءه في خلقه فلا تحقرن أحداً فلعله ذلك الولي)**[1].

يرشح من هذه الوصية الأخلاق العالية، والترغيب في طاعة الله تعالى والحث عليها، كما تتضمّن التحذير من المعصية، والتشديد في أمرها، وأنهاها بالحث على تكريم عباد الله وعدم الاستهانة بأي أحد منهم.

ثمّ روى الإمام الصادق عليه السلام إحدى وصايا أبيه إلى سفيان الثوري، فقال له: **(يا سفيان أمرني أبي بثلاث، ونهاني عن ثلاث، فكان فيما قال لي: يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم، ثمّ أنشدني:**

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٧٥، ص١٨٧.

عوّد لسانك قول الخير تحظ به

إنّ اللسـان لمـا عوّدت يعتـاد

موكل بتقاضـي ما سـننت له

في الخير والشر فانظر كيف تعتاد)[1].

فتأمّل هذه الوصايا التي تفيض الحكم الرائعة، وتحفل بجميع مقوّمات الآداب السلوكية، والآداب الأخلاقية، والفضائل الإنسانية.

وصيته عليه السلام لجابر الجعفي:

زوّد الإمام الباقر عليه السلام تلميذه العالم جابر بن يزيد الجعفي، بهذه الوصية الخالدة الحافلة بجميع القيم الكريمة، والمثل العليا التي يسمو بها الإنسان فيما لو طبّقها على واقع حياته، وهذا بعض ما جاء فيها:

(أوصيك بخمس: إن ظُلِمتَ فلا تَظلِم، وإن خانوك فلا تخن، وإن كُذِّبت فلا تغضب، وإن مُدِحت فلا تفرح، وإن ذممت فلا تجزع، وفكّر فيما قيل فيك، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله عزّ وجلّ

(١) الخصال: للشيخ الصدوق ص١٦٩.

عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة ممّا خفت من سقوطك من أعين الناس، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك، فثواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك.

واعلم بأنّك لا تكون لنا ولياً حتّى لو اجتمع عليك أهل مصرك، وقالوا: إنّك رجل سوء لم يحزنك ذلك، ولو قالوا: إنّك رجل صالح لم يسرّك ذلك، ولكن اعرض نفسك على كتاب الله، فإن كنت سالكاً سبيله، زاهداً في تزهيده، راغباً في ترغيبه، خائفاً من تخويفه، فاثبت وأبشر، فإنّه لا يضرّك ما قيل فيك، وإن كنت مبائناً للقرآن، فماذا الذي يغرّك من نفسك.

إنّ المؤمن معني بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها، فمرّة يقيم أودها ويخالف هواها في محبّة الله، ومرّة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله فينتعش، ويقيل الله عثرته فيتذكر، ويفزع إلى التوبة والمخافة فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف، وذلك بأنّ الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم

مُّبْصِرُونَ﴾[1].

يا جابر، استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلّصاً إلى الشكر، واستقلل من نفسك كثير الطاعة لله إزراءً على النفس وتعرّضاً للعفو.

وادفع عن نفسك حاضر الشر بحاضر العلم، واستعمل حاضر العلم بخالص العمل، وتحرّز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدّة التيقّظ، واستجلب شدّة التيقّظ بصدق الخوف، وأحذر خفي التزين بحاضر الحياة، وتوقّ مجازفة الهوى بدلالة العقل، وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم، واستبق خالص الأعمال ليوم الجزاء.

وانزل ساحة القناعة باتقاء الحرص، وادفع عظيم الحرص بإيثار القناعة، واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الأمل، واقطع أسباب الطمع ببرد اليأس، وسد سبيل العجب بمعرفة النفس، وتخلّص إلى راحة النفس بصحّة

(١) سورة الأعراف: آية ٢٠١.

التفويض، واطلب راحة البدن باجمام القلب، وتخلّص إلى اجمام القلب بقلّة الخطأ.

وتعرّض لرقة القلب بكثرة الذكر في الخلوات، واستجلب نور القلب بدوام الحزن، وتحرّز من إبليس بالخوف الصادق، وإيّاك والرجاء الكاذب، فإنّه يوقعك في الخوف الصادق.

وتزيّن لله عزّ وجلّ بالصدق في الأعمال، وتحبّب إليه بتعجيل الانتقال، وإيّاك والتسويف، فإنّه بحر يغرق فيه الهلكى، وإيّاك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب، وإيّاك والتواني فيما لا عذر لك فيه فإليه يلجأ النادمون.

واسترجع سالف الذنوب بشدّة الندم، وكثرة الاستغفار، وتعرّض للرحمة وعفو الله بحسن المراجعة، واستعن على حسن المراجعة بخالص الدعاء، والمناجاة في الظلم.

وتخلّص إلى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق، واستقلال كثير الطاعة، واستجلب زيادة النعم بعظيم

الشكر، والتوسّل إلى عظيم الشكر بخوف زوال النعم، واطلب بقاء العزّ بإماتة الطمع، وادفع ذل الطمع بعز اليأس، واستجلب عزّ اليأس ببعد الهمّة.

وتزوّد من الدنيا بقصر الأمل، وبادر بانتهاز البغية عند إمكان الفرصة، ولا إمكان كالأيام الخالية مع صحّة الأبدان، وإيّاك والثقة بغير المأمون، فإنّ للشر ضراوة كضراوة الغذاء.

واعلم أنّه لا علم كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب، ولا عقل كمخالفة الهوى، ولا خوف كخوف حاجز، ولا رجاء كرجاء معين، ولا فقر كفقر القلب، ولا غنى كغنى النفس، ولا قوّة كغلبة الهوى.

ولا نور كنور اليقين، ولا يقين كاستصغارك للدنيا، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك، ولا نعمة كالعافية، ولا عافية كمساعدة التوفيق، ولا شرف كبعد الهمّة، ولا زهد كقصر الأمل، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات.

ولا عدل كالإنصاف، ولا تعدّي كالجور، ولا جور

كموافقة الهوى، ولا طاعة كأداء الفرائض، ولا خوف كالحزن، ولا مصيبة كعدم العقل، ولا عدم عقل كقلّة اليقين، ولا قلّة يقين كفقد الخوف، ولا فقد خوف كقلّة الحزن على فقد الخوف، ولا مصيبة كاستهانتك بالذنب، ورضاك بالحالة التي أنت عليها.

ولا فضيلة كالجهاد، ولا جهاد كمجاهدة الهوى، ولا قوّة كردّ الغضب، ولا معصية كحب البقاء، ولا ذلّ كذلّ الطمع، وإيّاك والتفريط عند إمكان الفرصة، فإنّه ميدان يجري لأهله بالخسران)[1].

كرامات الإمام الباقر عليه السلام:

يتميّز الأئمّة عليهم السلام بارتباطٍ خاصٍّ بالله تعالى وعالَم الغيب، بسبَبِ مقامِ العصمة والإمامة، ولهُم - مثل الأنبياء - معاجزُ وكرامَاتٌ تؤيِّد ارتباطهم بالله تعالى، وكونَهم أئمّة، وللإمام الباقر عليه السلام معاجز وَكراماتٌ كثيرةٌ، سجَّلَتْها كتبُ التاريخ، ونذكر هنا بعضاً منها:

(١) تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص٢٨٤.

الكرامة الأولى:

عن عباد بن كثير البصري قال: قلت للباقر عليه السلام: (**ما حق المؤمن على الله؟ فصرف وجهه، فسألته عنه ثلاثاً، فقال: من حق المؤمن على الله أن لو قال لتلك النخلة أقبلي لأقبلت.**

قال عباد: فنظرت والله إلى النخلة التي كانت هناك قد تحرّكت مقبلة، فأشار إليها: قرّي فلم أعنِكِ)[1].

الكرامة الثانية:

عن أبي بصير قال: (كنت مع الإمام الباقر عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله قاعداً، حدثان ما مات علي بن الحسين عليهما السلام إذ دخل الدوانيقي، وداود بن سليمان قبل أن يفضى الملك إلى ولد العباس، وما قعد إلى الباقر عليه السلام إلاّ داود، فقال عليه السلام: **ما منع الدوانيقي أن يأتي؟** قال: فيه جفاء.

قال الإمام الباقر عليه السلام: **لا تذهب الأيام حتّى يلي أمر هذا الخلق، فيطأ أعناق الرجال، ويملك شرقها وغربها،**

(١) الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي: ج١، ص٢٧٢.

ويطول عمره فيها، حتّى يجمع من كنوز الأموال ما لم يجمع لأحد قبله)، فقام داود وأخبر الدوانيقي بذلك، فأقبل إليه الدوانيقي وقال: ما منعني من الجلوس إليك إلاّ إجلالاً لك، فما الذي أخبرني به داود؟ فقال: **هو كائن.**

فقال: ومُلْكنا قبل ملككم؟ قال: **نعم**، قال: ويملك بعدي أحد من ولدي، قال: **نعم**، قال: فمدّة بني أميّة أكثر أم مدّتنا؟ قال: **(مدّتكم أطول، وليتلقفن هذا الملك صبيانكم، ويلعبون به كما يلعبون بالكرة، هذا ما عهده إليّ أبي)**، فلمّا ملك الدوانيقي تعجّب من قول الباقر عليه السلام)[1].

الكرامة الرابعة:

عن أبي بصير قال: (قلت يوماً للباقر عليه السلام: أنتم ذرّية رسول الله؟ قال: **نعم**، قلت: ورسول الله وارث الأنبياء كلّهم؟ قال: **نعم، ورث جميع علومهم**، قلت: وأنتم ورثتم جميع علم رسول الله؟ قال: **نعم**، قلت: وأنتم

(١) الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي: ج١، ص٢٧٣.

تقدرون أن تحيوا الموتى، وتبرءوا الأكمة والأبرص، وتخبروا الناس بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم؟ قال: **نعم، بإذن الله**.

ثمّ قال: أدن منّي يا أبا بصير، فدنوت منه، فمسح يده على وجهي، فأبصرت السهل والجبل والسماء والأرض، ثمّ مسح يده على وجهي، فعدت كما كنت لا أبصر شيئاً، قال: ثمّ قال لي الباقر عليه السلام: **إن أحببت أن تكون هكذا كما أبصرت، وحسابك على الله، وإن أحببت أن تكون كما كنت وثوابك الجنّة**، فقلت: أكون كما كنت والجنّة أحب إليّ)[1].

(١) الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي: ج١، ص٢٧٤.

خاتمة:

وبعد ذكر هذه المناقب الباقرية ليس لنا إلا أن نعيد ما قاله الحاج علي محمد علي محمد دخيل فنقول: (لو أخذ المسلمون سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته عليهم السلام للعمل والتطبيق لحصلوا على أعظم مكسب في حقل التوجيه والأخلاق، ولسادوا الأمم ولامتدوا بالإسلام في أرجاء المعمورة، ولحققوا أعظم انتصار في الحق الداخلي والخارجي، فالبشرية لم تعهد بقادتها وموجهيها وعلمائها ومفكريها على مر العصور والأجيال بمثل هذه السير الغراء وعسى أن يرعوي المسلمون ويعودوا للطريق فيأخذوا من هذا المعين الصافي، والمنبع العذب)[1].

غرر من كلماته عليه السلام:

هذه بعض الحكم والمواعظ للإمام الباقر عليه السلام جاءت من فوح القرآن الكريم، وبوح وجدانه العظيم،

(١) أئمتنا لعلي محمد دخيل: ج١، ص٣٤٣.

ولنا ملء الأمل أن تؤخذ لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام للبحث والتفكير، والدراسة والتمحيص، ثم العمل على تطبيقها في الحياة الفردية والجماعية.

وكذلك الالتزام بما اشتملت عليه من تعاليم اجتماعية، ودروس أخلاقية، ليتحقق الغرض الأسمى الذي أراده عليه السلام من هدف هذه الحكم الخالدة على صدر الزمن.

قال عليه السلام: **(قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم، فإن الله يبغض اللعّان والسبّاب والطعان على المؤمنين الفاحش المتفحّش السائل الملحف ويحب الحييّ الحليم العفيف المتعفف)**[1].

وعنه عليه السلام: **(إنما شيعة علي عليه السلام المتباذلون في ولايتنا المتحابون في مودتنا المتزاورون لإحياء أمرنا الذين إذا غضبوا لم يظلموا وإذا رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاورا سلم لمن خالطوا)**[2].

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٣٢٦.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٢٣٦.

وعنه عليه السلام: **(إن أشد الناس حسرة يوم القيامة عبد وصف عدلا ثم خالفه إلى غيره)**[1].

وعنه عليه السلام: **(عليكم بالورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم عليها برا كان أو فاجرا فلو أن قاتل علي عليه السلام ائتمنني على أمانته لأديتها إليه)**[2].

وعنه عليه السلام: **(صلة الأرحام تزكي الأعمال وتنمي الأموال وتدفع البلوى وتيسر الحساب وتنسئ في الأجل)**[3].

وعنه عليه السلام: **(أربعة من كنوز البِّر: كتمان الحاجة وكتمان الصدقة وكتمان الوجع وكتمان المصيبة)**[4].

وعنه عليه السلام: **(لا تقارن ولا تؤاخ أربعة: الأحمق، والبخيل، والجبان، والكذاب، أما الأحمق فيريد أن ينفعك فيضرك، وأما البخيل فإنه يأخذ منك ولا يعطيك، وأما**

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٧٥، ص١٧٩.
(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٧٥، ص١٧٩.
(٣) الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص١٥٠.
(٤) الأمالي للشيخ المفيد: ص٨.

الجبان، فإنه يهرب عنك وعن والديه، وأما الكذاب فإنه يصدق ولا يصدق)[1].

وعنه عليه السلام: **(من لم يجعل الله له في نفسه واعظاً فإن مواعظ الناس لن تغني عنه شيئا)**[2].

وعنه عليه السلام: **(ما عرف اللهّ من عصاه، وأنشد:**

تعصي الإله وأنت تُظهر حبَّهُ هذا لعمرك في الفعالِ بديعُ لو كان حبُّك صادقاً لأَطعتَهُ إن المحبّ لِمن أحبَّ مُطيعُ)[3].

وعنه عليه السلام: **(من أُعطي الخُلُق والرفق فقد أعطي الخير والراحة وحسن حاله في دنياه وآخرته، ومن حُرِم الخُلُق والرفق كان ذلك سبيلاً إلى كل شر وبلية إلا من عصمه اللهّ)**[4].

وعنه عليه السلام: **(قُم بالحق، واعتزل ما لا يعنيك، وتجنب عَدوَّك، واحذر صديقك من الأقوام، ألا الأمين من**

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج١٢، ص٣٤.
(٢) الأنوار البهية للشيخ عباس القمي: ص١٤٣.
(٣) تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص٢٩٤.
(٤) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٧٥، ص١٨٦.

خشي الله، ولا تصحب الفاجر، ولا تطلعه على سِرِّك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله)[1].

وعنه عليه السلام: **(ثلاثة من مَكَارم الدنيا والآخرة: أن تعفو عَمَّن ظَلَمَك، وتَصِلْ مَن قطعك، وتَحلَم إذا جُهل عليك)**[2].

وعنه عليه السلام: **(مَن صَدَق لسانُه زَكا عَملُه، ومن حَسنت نِيَّته زِيدَ في رزقه، ومن حسن بِرُّه بأهله زِيدَ في عُمره)**[3].

وعنه عليه السلام: **(اِعرف المَوَدَّة في قلب أخيك بما له في قلبك)**[4].

وعنه عليه السلام: **(مَا دَخل قلبَ امرئٍ شيءٌ من الكِبَر إلا نقص من عقله مثل ذلك)**[5].

وعنه عليه السلام: **(لَموت عَالِمٍ أحبُّ إلى إبليس من موت**

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج١٢، ص٣١.
(٢) تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص٢٩٣.
(٣) تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص٢٩٥.
(٤) تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص٢٩٥.
(٥) مستدرك سفينة البحار لشيخ علي النمازي الشاهرودي: ج٧٥، ص١٨٦

سبعين عابداً)[1].

وعنه عليه السلام: **(لا يُقبل عَمَل إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بِعَمل، ومن عَرَف دَلَّتْهُ معرفته على العمل، ومن لم يعرف فلا عَمَل له)**[2].

وعنه عليه السلام: **(بِئْس العبد يَكون ذا وجهين وذا لسانين، يَطري أخاه في الله شاهداً، ويأكله غائباً، إنْ أعطِيَ حَسَدَه، وإن ابتُلِيَ خَذَله)**[3].

وعنه عليه السلام: **(الحياءُ والإيمان مَقرُونان في قرن، فإذا ذَهَب أحَدُهُما تَبِعه صَاحِبُه)**[4].

وعنه عليه السلام: **(إنَّ المؤمِنَ أخُو المؤمن، لا يَشتُمُه، ولا يَحرمه، ولا يسيء بِهِ الظَّنَّ)**[5].

وعنه عليه السلام: **(مَنْ أصَابَ مَالاً مِنْ أربع لم يُقبل منه في أربع، من أصاب مالاً من غلول أو رِبَا أو خِيَانة أو سَرِقة،**

(١) كشف الغمة للإربلي: ج٢، ص٣٤٥.
(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص١٠٦.
(٣) الخصال للشيخ المفيد: ص٣٨.
(٤) الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص١٠٦.
(٥) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٧٥، ص١٧٦.

لم يقبل منه في زَكَاة ولا صَدَقة ولا حَجٍّ ولا عُمرة)[1].

وعنه عليه السلام: **(كَفى بالمرءِ عَيباً أن يتعرَّف مِن عُيوب الناس مَا يعمى عليه من أمر نفسه، أو يَعيب الناس على أمر هو فِيه لا يستطيع التحول عنه إلى غيره، أو يؤذي جليسه بما لا يعنيه)**[2].

شهادته عليه السلام:

استشهد مولانا الإمام محمد الباقر عليه السلام بالمدينة المنورة يوم الإثنين السابع من ذي الحجة سنة ١١٤ هجرية وله سبع وخمسون سنة .

سبب شهادته عليه السلام:

استُشهد عليه السلام على أثر السمّ الذي دسّه إليه إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك أيّامَ حكم هشام بن عبدالملك الذي أمره بذلك.

موضع دفنه عليه السلام:

دفن في مقبرة البقيع جوار مرقد أبيه الإمام علي بن

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج١١، ص١٤٥.
(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج٢، ص٣٦٠.

الحسين عليهما السلام، ومرقد عمه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، كما دفن فيها فيما بعد ولده الإمام جعفر الصادق عليهم جميعاً صلوات الله تعالى واللعنة الدائمة على من ظلمهم وقتلهم،وكان له قبر شاخص تؤمّه جموع المؤمنين، حتّى هُدم في الثامن من شوّال سنة ١٣٤٤هـ فيما هُدم من قبور بقيّة الأئمّة عليهم السلام.

والحمدُ لله ربِّ العالمين

وسلامٌ علىٰ عبـاده الذيـن اصطفىٰ

محمـد وآله الطاهرين

تمّ بحمد الله

الفهرس

مولده الأغرّ عليه السلام: ٦
أُمه: ٦
اسمه وكنيته وألقابه عليه السلام: ٧
وصفه عليه السلام: ٧
نقش خاتمه عليه السلام: ٨
مقامه الإلهي عليه السلام: ٨
مدة إمامته عليه السلام: ٨
النصوص على إمامته عليه السلام والوصية إليه: ٨
أخلاقه عليه السلام: ١٢
حلمه عليه السلام: ١٢
الفضل ما شهدت به الأعداء: ١٤
العمل جهاد: ١٦

نهيه عليه السلام عن المنكر وإظهار بعض كراماته: ١٧
مواساته عليه السلام لإخوانه: ١٩
تضرعه وعبادته عليه السلام: ٢٠
سيرته عليه السلام في بيته: ٢٢
مواجهته عليه السلام للظالمين: ٢٤
الإمام عليه السلام في دمشق: ٢٥
الحياة العلمية والسياسية في زمنه عليه السلام: ٣٠
أولاً: الحياة العلمية والثقافية: ٣٠
ثانياً: الحياة السياسية: ٣١
مميزات مدرسة أهل البيت عليهم السلام: ٣٢
ثالثاً: فتح باب الاجتهاد: ٣٤
رابعاً: الرجوع إلى حكم العقل: ٣٤
خامساً: تنوع علوم المدرسة: ٣٥
مدرسة أهل البيت عليهم السلام في زمانه عليه السلام: ٣٥
تراث الإمام الباقر عليه السلام التفسيري: ٣٩
نماذج من تفسيره: ٤٢

مسائل لا يجيب عنها إلا نبي أو وصي نبي: ٤٦
الإمام الباقر عليه السلام ومسائل طاووس اليماني: ٥٣
وصيته لولده الإمام الصادق عليه السلام: ٥٧
وصيته عليه السلام لجابر الجعفي: ٥٩
كرامات الإمام الباقر عليه السلام: ٦٤
خاتمة: ٦٨
غرر من كلماته عليه السلام: ٦٨
شهادته عليه السلام: ٧٤
سبب شهادته عليه السلام: ٧٤
موضع دفنه عليه السلام: ٧٤